مختصر صحيح تفسير ابن كثير

لأبي عبد الله مصطفى بن العدوي

اختصره

أبو عبد الرحمن عوض بن لطفي

الجزء الثاني

اسم الكتاب : مختصر صحيح تفسير ابن كثير
اسم المؤلف : أبو عبد الرحمن عوض لطفي الجزار
اسم المحقق : المؤلف
القطع : ١٧ x ٢٤
عدد الصفحات : ١٣٢٤
عدد المجلدات : ١
سنة الطبع : ٢٠٠٧م

الطبعة الأولى

١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

رقم الإيداع : ١٥٧٤٧ / ٢٠٠٧

طبع . نشر . توزيع

المركز الرئيسي : فارسكور : تليفاكس ٠٠٢٠٥٧٤٤١٥٥٠ جوال : ٠١٢٢٣٦٨٠٠٢
فرع المنصورة : ٣٣ شارع جمال الدين الأفغاني هاتف : ٠٠٢٠٥٠٢٣١٢٠٦٨

آياتها ١١٠ تفسير سورة الكهف مكية

عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ »
وَعَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : « مَنْ قَرَأَ الْعَشْرَ الْأَوَاخِرَ مِنْ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ » .
وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ : مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

قَدْ تَقَدَّمَ فِي أَوَّلِ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ تَعَالَى يَحْمَدُ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ عِنْدَ فَوَاتِحِ الْأُمُورِ وَخَوَاتِمِهَا ، فَإِنَّهُ الْمَحْمُودُ عَلَى كُلِّ حَالٍ ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ، وَلِهَذَا حَمِدَ نَفْسَهُ عَلَى إِنْزَالِهِ كِتَابَهُ الْعَزِيزَ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ - صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ - فَإِنَّهُ أَعْظَمُ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ ، إِذْ أَخْرَجَهُمْ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ، حَيْثُ جَعَلَهُ كِتَابًا مُسْتَقِيمًا لَا اِعْوِجَاجَ فِيهِ وَلَا زَيْغَ ، بَلْ يَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَاضِحًا بَيِّنًا جَلِيًّا نَذِيرًا لِلْكَافِرِينَ بَشِيرًا لِلْمُؤْمِنِينَ ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ﴾ أَيْ : لَمْ يَجْعَلْ فِيهِ اِعْوِجَاجًا وَلَا زَيْغًا وَلَا مَيْلًا ، بَلْ جَعَلَهُ مُعْتَدِلًا مُسْتَقِيمًا ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ قَيِّمًا ﴾ أَيْ : مُسْتَقِيمًا ﴿ لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ ﴾ أَيْ : لِمَنْ خَالَفَهُ وَكَذَّبَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ ، يُنْذِرُهُ ﴿ بَأْسًا شَدِيدًا ﴾ عُقُوبَةً عَاجِلَةً فِي الدُّنْيَا ، وَآجِلَةً فِي الْآخِرَةِ ﴿ مِّن لَّدُنْهُ ﴾ أَيْ : مِنْ عِنْدِ اللهِ ﴿ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ أَيْ : بِهَذَا الْقُرْآنِ ، ﴿ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴾ أَيْ : مَثُوبَةً عِنْدَ اللهِ جَمِيلَةً ﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ ﴾ فِي ثَوَابِهِمْ عِنْدَ اللهِ - وَهُوَ الْجَنَّةُ - خَالِدِينَ فِيهِ ﴿ أَبَدًا ﴾ دَائِمًا لَا زَوَالَ لَهُ وَلَا انْقِضَاءَ ﴿ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ **قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ** : وَهُمْ مُشْرِكُو الْعَرَبِ فِي قَوْلِهِمْ : نَحْنُ نَعْبُدُ الْمَلَائِكَةَ وَهُمْ بَنَاتُ اللهِ . ﴿ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ﴾ أَيْ : بِهَذَا الْقَوْلِ الَّذِي اِفْتَرَوْهُ وَائْتَفَكُوهُ مِنْ عِلْمٍ ﴿ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ﴾ أَيْ : لِأَسْلَافِهِمْ ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً ﴾ نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ ، تَقْدِيرُهُ : كَبُرَتْ كَلِمَتُهُمْ هَذِهِ كَلِمَةً . وَهَذَا تَبْشِيعٌ لِمَقَالَتِهِمْ وَاسْتِعْظَامٌ

لإفكهم ،ولهذا قال : ﴿ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ ﴾ أي : ليس لها مستند سوى قولهم ، ولا دليل لهم عليها إلا كذبهم وافتراؤهم ؛ ولهذا قال : ﴿ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ .

فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿٨﴾

يقول تعالى مسليًا لرسوله - صلوات الله وسلامه عليه - في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم عنه ، كما قال تعالى : ﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾[الشعراء : ٣] باخع ، أي : مهلك نفسك بحزنك عليهم ، ولهذا قال : ﴿ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ﴾ يعني : القرآن ﴿ أَسَفًا ﴾ أي : لا تأسف عليهم ؛ بل أبلغهم رسالة الله ، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تذهب نفسك عليهم حسرات ، ثم أخبر تعالى أنه جعل الدنيا دارًا فانية مزينة بزينة زائلة ، وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار ، فقال : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها ، **فقال تعالى** : ﴿ وَإِنَّا لَجَٰعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ أي : وإنا لمصيروها بعد الزينة إلى الخراب والدمار ، فنجعل كل شيء عليها هالكًا ﴿ صَعِيدًا جُرُزًا ﴾ لا ينبت ولا ينتفع به ، **وقيل** : الصعيد : الأرض التي ليس فيها شجر ولا نبات .

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا۟ أَمَدًا ﴿١٢﴾

هذا إخبار من الله تعالى عن قصة أصحاب الكهف على سبيل الإجمال والاختصار ، ثم بسطها بعد ذلك ، **فقال** : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ ﴾ يعني : يا محمد ﴿ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴾ أي : ليس أمرهم عجيبًا في قدرتنا وسلطاننا . **وأما الكهف فهو** : الغار في الجبل ، وهو الذي لجأ إليه هؤلاء الفتية المذكورون ، وأما الرقيم **فقد ورد عن أهل العلم أقوالا منها** : واد قريب من أيلة ، والرقيم : اسم الوادي ، **ومنها** : هو الوادي الذي فيه كهفهم . ، **ومنها** : الجبل الذي فيه الكهف ، **ومنها** : أن الرقيم : الكتاب ، وهذا هو الظاهر من الآية .

وقوله : ﴿ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أُولَئِكَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ فَرُّوا بِدِينِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ لِئَلَّا يَفْتِنُوهُمْ عَنْهُ ، فَهَرَبُوا مِنْهُ فَلَجَئُوا إِلَى غَارٍ فِي جَبَلٍ لِيَخْتَفُوا عَنْ قَوْمِهِمْ ، فَقَالُوا حِينَ دَخَلُوا سَائِلِينَ مِنَ اللهِ تَعَالَى رَحْمَتَهُ وَلُطْفَهُ بِهِمْ : ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ﴾ أَيْ : هَبْ لَنَا مِنْ عِنْدِكَ رَحْمَةً تَرْحَمُنَا بِهَا وَتَسْتُرُنَا عَنْ قَوْمِنَا ﴿ وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ أَيْ : وَقَدِّرْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا هَذَا رَشَدًا ، أَيْ : اِجْعَلْ عَاقِبَتَنَا رُشْدًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِي ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴾ أَيْ : أَلْقَيْنَا عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حِينَ دَخَلُوا إِلَى الْكَهْفِ ، فَنَامُوا سِنِينَ كَثِيرَةً ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ ﴾ أَيْ : مِنْ رَقْدَتِهِمْ تِلْكَ ، وَخَرَجَ أَحَدُهُمْ بِدَرَاهِمَ مَعَهُ لِيَشْتَرِيَ لَهُمْ بِهَا طَعَامًا يَأْكُلُونَهُ ، كَمَا سَيَأْتِي بَيَانُهُ وَتَفْصِيلُهُ ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ ﴾ أَيْ : الْمُخْتَلِفَيْنِ فِيهِمْ ﴿ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدًا ﴾ **قِيلَ** : عَدَدًا ، **وَقِيلَ** : غَايَةً ، فَإِنَّ الْأَمَدَ : الْغَايَةَ .

نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾

مِنْ هَاهُنَا شَرَعَ فِي بَسْطِ الْقِصَّةِ وَشَرْحِهَا ، فَذَكَرَ تَعَالَى : أَنَّهُمْ فِتْيَةٌ وَهُمُ الشَّبَابُ ، وَهُمْ أَقْبَلُ لِلْحَقِّ وَأَهْدَى لِلسَّبِيلِ مِنَ الشُّيُوخِ ، هَكَذَا أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، أَنَّهُمْ كَانُوا فِتْيَةً شَبَابًا ﴿ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ **اِسْتَدَلَّ بِهَذِهِ الْآيَةِ إِلَى زِيَادَةِ الْإِيمَانِ وَتَفَاضُلِهِ وَأَنَّهُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ** .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ يَقُولُ تَعَالَى وَصَبَّرْنَاهُمْ عَلَى مُخَالَفَةِ قَوْمِهِمْ وَمَدِينَتِهِمْ ، وَمُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ مِنَ الْعَيْشِ الرَّغِيدِ وَالسَّعَادَةِ وَالنِّعْمَةِ ، ﴿ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ﴾ وَلَنْ : لِنَفْيِ التَّأْبِيدِ ، أَيْ : لَا يَقَعُ مِنَّا هَذَا أَبَدًا ، لِأَنَّا لَوْ فَعَلْنَا ذَلِكَ لَكَانَ بَاطِلًا ، **وَلِهَذَا قَالَ عَنْهُمْ** : ﴿ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ﴾ أَيْ : بَاطِلًا وَكَذِبًا وَبُهْتَانًا .

﴿ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ ﴾ أَيْ : هَلَّا أَقَامُوا عَلَى صِحَّةِ مَا ذَهَبُوا إِلَيْهِ دَلِيلًا وَاضِحًا صَحِيحًا ؟! ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴾ يَقُولُونَ : بَلْ هُمْ ظَالِمُونَ كَاذِبُونَ فِي قَوْلِهِمْ ذَلِكَ ، ﴿ وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ أَيْ : وَإِذَا فَارَقْتُمُوهُمْ وَخَالَفْتُمُوهُمْ بِأَدْيَانِكُمْ فِي عِبَادَتِهِمْ غَيْرَ اللهِ فَفَارِقُوهُمْ أَيْضًا بِأَبْدَانِكُمْ ، ﴿ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ ﴾ ، أَيْ : يَبْسُطُ عَلَيْكُمْ رَحْمَةً يَسْتُرُكُمْ بِهَا مِنْ قَوْمِكُمْ ﴿ وَيُهَيِّئْ

لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم﴾ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ ﴿مِّرْفَقًا﴾ أَيْ : أَمْرًا تَرْتَفِقُونَ بِهِ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ خَرَجُوا هِرَابًا إِلَى الْكَهْفِ ، فَأَوَوْا إِلَيْهِ فَفَقَدَهُمْ قَوْمُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِهِمْ ، وَتَطَلَّبَهُمُ الْمَلِكُ ، فَيُقَالُ إِنَّهُ لَمْ يَظْفَرْ بِهِمْ وَعَمَّى اللهُ عَلَيْهِ خَبَرَهُمْ .

۞ وَتَرَى ٱلشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَٰوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾

فَهَذَا فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ بَابَ هَذَا الْكَهْفِ كَانَ مِنْ نَحْوِ الشِّمَالِ ، لأَنَّهُ تَعَالَى أَخْبَرَ أَنَّ الشَّمْسَ إِذَا دَخَلَتْهُ عِنْدَ طُلُوعِهَا تَزَاوَرُ عَنْهُ ﴿ذَاتَ ٱلْيَمِينِ﴾ أَيْ : يَتَقَلَّصُ الْفَيْءُ يَمْنَةً ﴿تَّزَٰوَرُ﴾ أَيْ : تَمِيلُ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلَّمَا ارْتَفَعَتْ فِي الْأُفُقِ تَقَلَّصَ شُعَاعُهَا بِارْتِفَاعِهَا ، حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْهُ شَيْءٌ عِنْدَ الزَّوَالِ فِي مِثْلِ ذَلِكَ الْمَكَانِ ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ أَيْ : تَدْخُلُ إِلَى غَارِهِمْ مِنْ شِمَالِ بَابِهِ ، وَهُوَ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ .

وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ : ﴿تَّقْرِضُهُمْ﴾ تَتْرُكُهُمْ ، وَقَدْ أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى بِذَلِكَ ، وَأَرَادَ مِنَّا فَهْمَهُ وَتَدَبُّرَهُ ، وَلَمْ يُخْبِرْنَا بِمَكَانِ هَذَا الْكَهْفِ فِي أَيِّ الْبِلَادِ مِنَ الْأَرْضِ ، إِذْ لَا فَائِدَةَ لَنَا فِيهِ وَلَا قَصْدٌ شَرْعِيٌّ ، ﴿وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ﴾ أَيْ : فِي مُتَّسَعٍ مِنْهُ دَاخِلًا بِحَيْثُ لَا تَمَسُّهُمْ إِذْ لَوْ أَصَابَتْهُمْ لَأَحْرَقَتْ أَبْدَانَهُمْ وَثِيَابَهُمْ ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ حَيْثُ أَرْشَدَهُمْ إِلَى هَذَا الْغَارِ الَّذِي جَعَلَهُمْ فِيهِ أَحْيَاءً ، وَالشَّمْسُ وَالرِّيحُ تَدْخُلُ عَلَيْهِمْ فِيهِ لِتَبْقَى أَبْدَانُهُمْ ، **وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى** : ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ **ثُمَّ قَالَ** : ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ الْآيَةَ . أَيْ : هُوَ الَّذِي أَرْشَدَ هَؤُلَاءِ الْفِتْيَةَ إِلَى الْهِدَايَةِ مِنْ بَيْنِ قَوْمِهِمْ ، فَإِنَّهُ مَنْ هَدَاهُ اللهُ اهْتَدَى ، وَمَنْ أَضَلَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ .

وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾

ذَكَرَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُمْ لَمَّا ضَرَبَ اللهُ عَلَى آذَانِهِمْ بِالنَّوْمِ لَمْ تَنْطَبِقْ أَعْيُنُهُمْ ، لِئَلَّا يُسْرِعَ إِلَيْهَا الْبِلَى ، فَإِذَا بَقِيَتْ ظَاهِرَةً لِلْهَوَاءِ كَانَ أَبْقَى لَهَا ، **وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى** : ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ وَقَدْ ذُكِرَ عَنِ الذِّئْبِ أَنَّهُ يَنَامُ فَيُطْبِقُ عَيْنًا وَيَفْتَحُ عَيْنًا ثُمَّ يَفْتَحُ هَذِهِ وَيُطْبِقُ هَذِهِ وَهُوَ رَاقِدٌ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ **قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ** : يُقَلَّبُونَ فِي الْعَامِ مَرَّتَيْنِ ، **وَقَالَ بَعْضُهُمْ** : لَوْ لَمْ يُقَلَّبُوا لَأَكَلَتْهُمُ الْأَرْضُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَكَلْبُهُم بَـٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ﴾ الْوَصِيدُ : الْفِنَاءُ ، وَهُوَ الْبَابُ ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴾ [الهمزة : ٨] أَيْ : مُطْبَقَةٌ مُغْلَقَةٌ ، **قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ** : يَحْرُسُ عَلَيْهِمُ الْبَابَ ، وَهَذَا مِنْ سَجِيَّتِهِ وَطَبِيعَتِهِ حَيْثُ يَرْبِضُ بِبَابِهِمْ كَأَنَّهُ يَحْرُسُهُمْ ، وَكَانَ جُلُوسُهُ خَارِجَ الْبَابِ ؛ لأَنَّ الْمَلائِكَةَ لا تَدْخُلُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلا صُورَةٌ ، وَشَمِلَتْ كَلْبَهُمْ بَرَكَتُهُمْ ، فَأَصَابَهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ النَّوْمِ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ ، وَهَذَا فَائِدَةُ صُحْبَةِ الأَخْيَارِ ، فَإِنَّهُ صَارَ لِهَذَا الْكَلْبِ ذِكْرٌ وَخَبَرٌ وَشَأْنٌ .

وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ أَيْ : أَنَّهُ تَعَالَى أَلْقَى عَلَيْهِمُ الْمَهَابَةَ بِحَيْثُ لا يَقَعُ نَظَرُ أَحَدٍ عَلَيْهِمْ إِلَّا هَابَهُمْ ، لِمَا أُلْبِسُوا مِنَ الْمَهَابَةِ وَالذُّعْرِ .

وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى : كَمَا أَرْقَدْنَاهُمْ بَعَثْنَاهُمْ صَحِيحَةً أَبْدَانُهُمْ وَأَشْعَارُهُمْ وَأَبْشَارُهُمْ ، لَمْ يَفْقِدُوا مِنْ أَحْوَالِهِمْ وَهَيْئَاتِهِمْ شَيْئًا ، وَذَلِكَ بَعْدَ ثَلاثِمِائَةِ سَنَةٍ وَتِسْعِ سِنِينَ ، وَلِهَذَا تَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ ﴿ كَمْ لَبِثْتُمْ ﴾ أَيْ : كَمْ رَقَدْتُمْ ؟ ﴿ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ﴾ لأَنَّهُ كَانَ دُخُولُهُمْ إِلَى الْكَهْفِ فِي أَوَّلِ نَهَارٍ وَاسْتِيقَاظُهُمْ كَانَ فِي آخِرِ نَهَارٍ ، وَلِهَذَا اسْتَدْرَكُوا فَقَالُوا : ﴿ أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ أَيْ : اللهُ أَعْلَمُ بِأَمْرِكُمْ ، وَكَأَنَّهُ حَصَلَ لَهُمْ نَوْعُ تَرَدُّدٍ فِي كَثْرَةِ نَوْمِهِمْ فَاللهُ أَعْلَمُ .

ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الأَهَمِّ فِي أَمْرِهِمْ إِذْ ذَاكَ ، وَهُوَ احْتِيَاجُهُمْ إِلَى الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَقَالُوا : ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ ﴾ أَيْ : فِضَّتِكُمْ هَذِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا قَدِ اسْتَصْحَبُوا مَعَهُمْ دَرَاهِمَ مِنْ مَنَازِلِهِمْ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا ، فَتَصَدَّقُوا مِنْهَا وَبَقِيَ مِنْهَا ، **فَلِهَذَا قَالُوا** : ﴿ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَـٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ أَيْ : مَدِينَتِكُمْ الَّتِي خَرَجْتُمْ مِنْهَا ﴿ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا ﴾ أَيْ : أَطْيَبُ طَعَامًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلْيَتَلَطَّفْ ﴾ أَيْ : فِي خُرُوجِهِ وَذَهَابِهِ وَشِرَائِهِ وَإِيَابِهِ ، يَقُولُونَ : وَلْيَتَخَفَّ كُلَّ مَا يَقْدِرِ عَلَيْهِ ﴿ وَلَا يُشْعِرَنَّ ﴾ أَيْ : وَلا يُعْلِمَنَّ ﴿ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ ﴾ أَيْ : إِنْ عَلِمُوا بِمَكَانِكُمْ ﴿ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ ﴾ يَعْنُونَ أَصْحَابَ دِقْيَانُوس ، يَخَافُونَ مِنْهُمْ أَنْ يَطَّلِعُوا عَلَى مَكَانِهِمْ ، فَلا يَزَالُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ بِأَنْوَاعِ الْعَذَابِ إِلَى أَنْ يُعِيدُوهُمْ فِي مِلَّتِهِمُ الَّتِي هُمْ عَلَيْهَا أَوْ يَمُوتُوا ، وَإِنْ وَافَقْتُمُوهُمْ عَلَى الْعَوْدِ فِي الدِّينِ فَلا فَلاحَ لَكُمْ فِي الدُّنْيَا وَلا فِي الآخِرَةِ ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴾ .

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ ﴾ أَيْ : أَطْلَعْنَا عَلَيْهِمُ النَّاسَ وَذَكَرُوا : أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَحَدُهُمُ الْخُرُوجَ لِيَذْهَبَ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فِي شِرَاءِ شَيْءٍ لَهُمْ لِيَأْكُلُوهُ . فَجَعَلَ لَا يَرَى شَيْئًا مِنْ مَعَالِمِ الْبَلَدِ الَّتِي يَعْرِفُهَا وَلَا يَعْرِفُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِهَا ، فَجَعَلَ يَتَحَيَّرُ فِي نَفْسِهِ وَيَقُولُ : لَعَلَّ بِي جُنُونًا أَوْ مَسًّا أَوْ أَنَا حَالِمٌ ، وَيَقُولُ : وَاللهِ مَا بِي شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ ، وَإِنَّ عَهْدِي بِهَذِهِ الْبَلْدَةِ عَشِيَّةَ أَمْسِ عَلَى غَيْرِ هَذِهِ الصِّفَةِ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ تَعْجِيلَ الْخُرُوجِ مِنْ هَاهُنَا لَأَوْلَى لِي ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى رَجُلٍ مِمَّنْ يَبِيعُ الطَّعَامَ فَدَفَعَ إِلَيْهِ مَا مَعَهُ مِنَ النَّفَقَةِ وَسَأَلَهُ أَنْ يَبِيعَهُ بِهَا طَعَامًا ، فَلَمَّا رَآهَا ذَلِكَ الرَّجُلُ أَنْكَرَهَا وَأَنْكَرَ ضَرْبَهَا ، فَدَفَعَهَا إِلَى جَارِهِ وَجَعَلُوا يَتَدَاوَلُونَهَا بَيْنَهُمْ ، فَحَمَلُوهُ إِلَى وَلِيِّ أَمْرِهِمْ ، فَسَأَلَهُ عَنْ شَأْنِهِ وَخَبَرِهِ حَتَّى أَخْبَرَهُمْ بِأَمْرِهِ ، وَهُوَ مُتَحَيِّرٌ فِي حَالِهِ وَمَا هُوَ فِيهِ ، فَلَمَّا أَعْلَمَهُمْ بِذَلِكَ قَامُوا مَعَهُ إِلَى الْكَهْفِ - مَلِكُ الْبَلَدِ وَأَهْلُهَا - حَتَّى انْتَهَى بِهِمْ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالَ لَهُمْ : دَعُونِي حَتَّى أَتَقَدَّمَكُمْ فِي الدُّخُولِ لِأُعْلِمَ أَصْحَابِي ، فَدَخَلَ فَيُقَالُ : إِنَّهُمْ لَا يَدْرُونَ كَيْفَ ذَهَبَ فِيهِ وَأَخْفَى اللهُ عَلَيْهِمْ خَبَرَهُمْ ، وَيُقَالُ : بَلْ دَخَلُوا عَلَيْهِمْ وَرَأَوْهُمْ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمُ الْمَلِكُ وَاعْتَنَقَهُمْ ، ثُمَّ وَدَّعُوهُ وَسَلَّمُوا عَلَيْهِ ، وَعَادُوا إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَتَوَفَّاهُمُ اللهُ ﷻ فَاللهُ أَعْلَمُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ﴾ أَيْ : فِي أَمْرِ الْقِيَامَةِ ، فَمِنْ مُثْبِتٍ لَهَا وَمِنْ مُنْكِرٍ ، فَجَعَلَ اللهُ ظُهُورَهُمْ عَلَى أَصْحَابِ الْكَهْفِ حُجَّةً لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ﴿ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ﴾ أَيْ سُدُّوا عَلَيْهِمْ بَابَ كَهْفِهِمْ وَذَرُوهُمْ عَلَى حَالِهِمْ ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ الظَّاهِرُ أَنَّ الَّذِينَ قَالُوا ذَلِكَ هُمْ أَصْحَابُ الْكَلِمَةِ وَالنُّفُوذِ ، وَلَكِنْ هَلْ هُمْ مَحْمُودُونَ أَمْ لَا ؟ فِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ : « **لَعَنَ اللهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ وَصَالِحِيهِمْ مَسَاجِدَ** » يُحَذِّرُ مَا فَعَلُوا .

سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنِ اخْتِلَافِ النَّاسِ فِي عِدَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ ، فَحَكَى ثَلَاثَةَ أَقْوَالٍ ، فَدَلَّ

عَلَى أَنَّهُ لا قَائِلَ بِرَابِعٍ ، وَلَمَّا ضَعَّفَ الْقَوْلَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ بِقَوْلِهِ : ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ أَيْ : قَوْلًا بِلَا عِلْمٍ ، كَمَنْ يَرْمِي إِلَى مَكَانٍ لَا يَعْرِفُهُ فَإِنَّهُ لَا يَكَادُ يُصِيبُ ، وَإِنْ أَصَابَ فَبِلَا قَصْدٍ ، ثُمَّ حَكَى الثَّالِثَ وَسَكَتَ عَلَيْهِ أَوْ قَرَّرَهُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ فَدَلَّ عَلَى صِحَّتِهِ وَأَنَّهُ هُوَ الْوَاقِعُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم ﴾ إِرْشَادٌ إِلَى أَنَّ الْأَحْسَنَ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَقَامِ رَدُّ الْعِلْمِ إِلَى اللهِ تَعَالَى ﴿ مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾ أَيْ : مِنَ النَّاسِ . **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: أَنَا مِنَ الْقَلِيلِ الَّذِي اسْتَثْنَى اللهُ ﷻ كَانُوا سَبْعَةً . ﴿ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا ﴾ أَيْ : سَهْلًا هَيِّنًا ، فَإِنَّ الْأَمْرَ فِي مَعْرِفَةِ ذَلِكَ لَا يَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ كَبِيرُ فَائِدَةٍ ﴿ وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أَيْ : فَإِنَّهُمْ لَا عِلْمَ لَهُمْ بِذَلِكَ إِلَّا مَا يَقُولُونَهُ مِنْ تِلْقَاءِ أَنْفُسِهِمْ ﴿ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ ﴾ أَيْ : مِنْ غَيْرِ اسْتِنَادٍ إِلَى كَلَامٍ مَعْصُومٍ ، وَقَدْ جَاءَكَ اللهُ يَا مُحَمَّدُ بِالْحَقِّ الَّذِي لَا شَكَّ فِيهِ وَلَا مِرْيَةَ فِيهِ ، فَهُوَ الْمُقَدَّمُ الْحَاكِمُ عَلَى كُلِّ مَا تَقَدَّمَهُ مِنَ الْكُتُبِ وَالْأَقْوَالِ .

وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾

هَذَا إِرْشَادٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ إِلَى الْأَدَبِ فِيمَا إِذَا عَزَمَ عَلَى شَيْءٍ لِيَفْعَلَهُ فِي الْمُسْتَقْبَلِ ، أَنْ يَرُدَّ ذَلِكَ إِلَى مَشِيئَةِ اللهِ ﷻ . **وَقَوْلُهُ** : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ **قِيلَ** : مَعْنَاهُ إِذَا نَسِيتَ الِاسْتِثْنَاءَ فَاسْتَثْنِ عِنْدَ ذِكْرِكَ لَهُ وَلَوْ إِلَى سَنَةٍ . **وَيَحْتَمِلُ فِي الْآيَةِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ** : أَنْ يَكُونَ اللهُ تَعَالَى قَدْ أَرْشَدَ مَنْ نَسِيَ الشَّيْءَ فِي كَلَامِهِ إِلَى ذِكْرِ اللهِ تَعَالَى ، لِأَنَّ النِّسْيَانَ مَنْشَؤُهُ مِنَ الشَّيْطَانِ ، كَمَا قَالَ فَتَى مُوسَى : ﴿ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ ، وَذِكْرُ اللهِ تَعَالَى يَطْرُدُ الشَّيْطَانَ ، فَإِذَا ذَهَبَ الشَّيْطَانُ ذَهَبَ النِّسْيَانُ ، فَذِكْرُ اللهِ سَبَبٌ لِلذِّكْرِ ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴾ أَيْ : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ شَيْءٍ لَا تَعْلَمُهُ ، فَاسْأَلِ اللهَ تَعَالَى فِيهِ ، وَتَوَجَّهْ إِلَيْهِ فِي أَنْ يُوَفِّقَكَ لِلصَّوَابِ وَالرُّشْدِ فِي ذَلِكَ .

وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾

هَذَا خَبَرٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِمِقْدَارِ مَا لَبِثَ أَصْحَابُ الْكَهْفِ فِي كَهْفِهِمْ مُنْذُ أَرْقَدَهُمْ إِلَى أَنْ بَعَثَهُمُ اللهُ وَأَعْثَرَ عَلَيْهِمْ أَهْلَ الزَّمَانِ ، وَأَنَّهُ كَانَ مِقْدَارُهُ ثَلَاثَمِائَةِ سَنَةٍ تَزِيدُ تِسْعَ سِنِينَ بِالْهِلَالِيَّةِ وَهِيَ ثَلَاثُمِائَةِ سَنَةٍ بِالشَّمْسِيَّةِ ، فَإِنْ تَفَاوَتَ مَا بَيْنَ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ بِالْقَمَرِيَّةِ إِلَى الشَّمْسِيَّةِ

ثَلَاثَ سِنِينَ ، فَلِهَذَا قَالَ بَعْدَ الثَّلَاثِمِائَةِ ﴿ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴾ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ ﴾ أَيْ : إِذَا سُئِلْتَ عَنْ لُبْثِهِمْ ، وَلَيْسَ عِنْدَكَ عِلْمٌ فِي ذَلِكَ وَتَوْقِيفٌ مِنَ اللهِ تَعَالَى ، فَلَا تَتَقَدَّمْ فِيهِ بِشَيْءٍ ، بَلْ قُلْ فِي مِثْلِ هَذَا : ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُواْ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ أَيْ : لَا يَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا هُوَ وَمَنْ أَطْلَعَهُ عَلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ﴾ أَيْ : أَنَّهُ لَبَصِيرٌ بِهِمْ سَمِيعٌ لَهُمْ ، **وَتَأْوِيلُ الْكَلَامِ** : مَا أَبْصَرَ اللهَ لِكُلِّ مَوْجُودٍ وَأَسْمَعَهُ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ . ﴿ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾ أَيْ : أَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الَّذِي لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ، الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ ، وَلَيْسَ لَهُ وَزِيرٌ وَلَا نَصِيرٌ ، وَلَا شَرِيكٌ وَلَا مُشِيرٌ ، تَعَالَى وَتَقَدَّسَ .

وَٱتْلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى آمِرًا رَسُولَهُ ﷺ بِتِلَاوَةِ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ ، وَإِبْلَاغِهِ إِلَى النَّاسِ ﴿ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ ﴾ أَيْ : لَا مُغَيِّرَ لَهَا وَلَا مُحَرِّفَ وَلَا مُؤَوِّلَ . ﴿ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴾ **أَيْ** : مَلْجَأً . **قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ** : يَقُولُ وَإِنْ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ لَمْ تَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ ، فَإِنَّهُ لَا مَلْجَأَ لَكَ مِنَ اللهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ﴾ أَيْ : اِجْلِسْ مَعَ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَ ، وَيُهَلِّلُونَهُ ، وَيَحْمَدُونَهُ ، وَيُسَبِّحُونَهُ ، وَيُكَبِّرُونَهُ ، وَيَسْأَلُونَهُ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ، مِنْ عِبَادِ اللهِ سَوَاءٌ كَانُوا فُقَرَاءَ أَوْ أَغْنِيَاءَ ، أَوْ أَقْوِيَاءَ أَوْ ضُعَفَاءَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ **قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ** - رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا -: وَلَا تُجَاوِزْهُمْ إِلَى غَيْرِهِمْ ، يَعْنِي : تَطْلُبُ بَدَلَهُمْ أَصْحَابَ الشَّرَفِ وَالثَّرْوَةِ ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا ﴾ أَيْ : شُغِلَ عَنِ الدِّينِ وَعِبَادَةِ رَبِّهِ بِالدُّنْيَا ﴿ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴾ أَيْ : أَعْمَالُهُ وَأَفْعَالُهُ سَفَهٌ وَتَفْرِيطٌ وَضَيَاعٌ ، وَلَا تَكُنْ مُطِيعًا لَهُ وَلَا مُحِبًّا لِطَرِيقَتِهِ ، وَلَا تَغْبِطْهُ بِمَا هُوَ فِيهِ .

وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ : ﴿ وَقُلِ ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ : هَـذَا الَّذِي جِئْتُكُمْ بِهِ مِنْ رَبِّكُمْ هُوَ الْحَقُّ الَّذِي لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلَا شَكَّ ﴿ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ﴾ هَذَا مِنْ بَابِ التَّهْدِيدِ وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ إِنَّآ أَعْتَدْنَا ﴾ أَيْ : أَرْصَدْنَا ﴿ لِلظَّـٰلِمِينَ ﴾ ، وَهُمُ الْكَافِرُونَ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَكِتَابِهِ ﴿ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ﴾ أَيْ : سُورُهَا . ﴿ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ الْآيَة . رُوِيَ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ : الْمُهْلُ : الْمَاءُ الْغَلِيظُ كَالدَّمِ وَالْقَيْحِ ، فَهُوَ أَسْوَدُ مُنْتِنٌ غَلِيظٌ حَارٌّ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ﴾ أَيْ : مِنْ حَرِّهِ ، إِذَا أَرَادَ الْكَافِرُ أَنْ يَشْرَبَهُ وَقَرَّبَهُ مِنْ وَجْهِهِ شَوَاهُ ، حَتَّى يَسْقُطَ جِلْدُ وَجْهِهِ فِيهِ ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ ﴾ أَيْ : بِئْسَ هَذَا شَرَابًا ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيْ : وَسَاءَتِ النَّارُ مَنْزِلًا ، وَمَقِيلًا ، وَمُجْتَمَعًا ، وَمَوْضِعًا لِلارْتِفَاقِ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى حَالَ الْأَشْقِيَاءِ ثَنَّى بِذِكْرِ السُّعَدَاءِ : الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ ، وَعَمِلُوا بِمَا أَمَرُوهُمْ بِهِ مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، فَلَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ ، وَالْعَدْنُ الْإِقَامَةُ . ﴿ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَـٰرُ ﴾ أَيْ . مِنْ تَحْتِ غُرَفِهِمْ وَمَنَازِلِهِمْ . ﴿ يُحَلَّوْنَ ﴾ أَيْ . مِنَ الْحِلْيَةِ ﴿ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ ﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ ﴾ فَالسُّنْدُسُ : ثِيَابٌ رِفَاعٌ رِقَاقٌ كَالْقُمْصَانِ ، وَمَا جَرَى مَجْرَاهَا. وَأَمَّا الْإِسْتَبْرَقُ : فَغَلِيظُ الدِّيبَاجِ وَفِيهِ بَرِيقٌ . ﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ﴾ الِاتِّكَاءُ . قِيلَ : الِاضْطِجَاعُ ، وَقِيلَ : التَّرَبُّعُ فِي الْجُلُوسِ . وَالْأَرَائِكُ : جَمْعُ أَرِيكَةٍ : وَهِيَ السَّرِيرُ تَحْتَ الْحَجَلَةِ . ﴿ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيْ : نِعْمَتِ الْجَنَّةُ ثَوَابًا عَلَى أَعْمَالِهِمْ ، ﴿ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ أَيْ : حَسُنَتْ مَنْزِلًا وَمَقِيلًا وَمُقَامًا ، كَمَا قَالَ فِي النَّارِ : ﴿ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ .

۞ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَـٰبٍ وَحَفَفْنَـٰهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ﴿٣٢﴾ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ۚ وَفَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا ﴿٣٣﴾ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَـٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَـٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴿٣٥﴾

وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴿٣٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِهِ الْمُشْرِكِينَ الْمُسْتَكْبِرِينَ عَنْ مُجَالَسَةِ الضُّعَفَاءِ وَالْمَسَاكِينِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَافْتَخَرُوا عَلَيْهِمْ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَحْسَابِهِمْ فَضَرَبَ لَهُمْ مَثَلًا بِرَجُلَيْنِ جَعَلَ اللهُ ﴿ لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ ﴾ أَيْ: بُسْتَانَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ مَحْفُوفَتَيْنِ بِالنَّخِيلِ الْمُحْدِقَةِ فِي جَنَبَاتِهِمَا، وَفِي خِلَالِهِمَا الزُّرُوعُ، وَكُلٌّ مِنَ الْأَشْجَارِ وَالزُّرُوعِ مُثْمِرٌ مُقْبِلٌ فِي غَايَةِ الْجَوْدَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا ﴾، أَيْ: أَخْرَجَتْ ثَمَرَهَا ﴿ وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا ﴾ أَيْ: وَلَمْ تُنْقِصْ مِنْهُ شَيْئًا ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا ﴾ أَيْ: وَالْأَنْهَارُ مُتَفَرِّقَةٌ فِيهِمَا هَاهُنَا وَهَاهُنَا. ﴿ وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ ﴾ قِيلَ: الثِّمَارُ ﴿ فَقَالَ ﴾ أَيْ: صَاحِبُ هَاتَيْنِ الْجَنَّتَيْنِ ﴿ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ ﴾ أَيْ: يُجَادِلُهُ وَيُخَاصِمُهُ يَفْتَخِرُ عَلَيْهِ وَيَتَرَأَّسُ: ﴿ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴾ أَيْ: أَكْثَرُ خَدَمًا وَحَشَمًا وَوَلَدًا.

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ ﴾ أَيْ: بِكُفْرِهِ، وَتَمَرُّدِهِ، وَتَكَبُّرِهِ، وَتَجَبُّرِهِ، وَإِنْكَارِهِ الْمَعَادَ ﴿ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ وَذَلِكَ اغْتِرَارٌ مِنْهُ، لِمَا رَأَى فِيهَا مِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ وَالْأَشْجَارِ، وَالْأَنْهَارِ الْمُطَّرِدَةِ فِي جَوَانِبِهَا وَأَرْجَائِهَا، ظَنَّ أَنَّهَا لَا تَفْنَى وَلَا تَفْرُغُ وَلَا تَهْلِكُ وَلَا تَتْلَفُ، وَذَلِكَ لِقِلَّةِ عَقْلِهِ وَضَعْفِ يَقِينِهِ بِاللهِ، وَإِعْجَابِهِ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا، وَكُفْرِهِ بِالْآخِرَةِ، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً ﴾ أَيْ: كَائِنَةً ﴿ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّى لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ﴾ أَيْ: وَلَئِنْ كَانَ مَعَادٌ وَرَجْعَةٌ وَمَرَدٌّ إِلَى اللهِ لَيَكُونَنَّ لِي هُنَاكَ أَحْسَنَ مِنْ هَذَا لِأَنِّي مُحْظًى عِنْدَ رَبِّي، وَلَوْلَا كَرَامَتِي عَلَيْهِ مَا أَعْطَانِي هَذَا.

قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴿٤١﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا أَجَابَهُ بِهِ صَاحِبُهُ الْمُؤْمِنُ وَاعِظًا لَهُ وَزَاجِرًا عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْكُفْرِ بِاللهِ وَالِاغْتِرَارِ: ﴿ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ﴾ الْآيَةَ، وَهَذَا إِنْكَارٌ وَتَعْظِيمٌ لِمَا وَقَعَ فِيهِ مِنْ جُحُودِ رَبِّهِ الَّذِي خَلَقَهُ وَابْتَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ، وَهُوَ آدَمُ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَلِهَذَا قَالَ الْمُؤْمِنُ: ﴿ لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى ﴾ أَيْ: لَكِنْ أَنَا لَا أَقُولُ بِمَقَالَتِك، بَلْ أَعْتَرِفُ للهِ بِالْوَحْدَانِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ ﴿ وَلَآ أُشْرِكُ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴾ أَيْ: بَلْ هُوَ اللهُ الْمَعْبُودُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

ثُمَّ قَالَ: ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ إِن تَرَنِ أَنَا۠ أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا ﴾ هَذَا تَحْضِيضٌ وَحَثٌّ عَلَى ذَلِكَ ، أَيْ : هَلَّا إِذَا أَعْجَبَتْكَ حِينَ دَخَلْتَهَا وَنَظَرْتَ إِلَيْهَا ، حَمِدْتَ اللهَ عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ ، وَأَعْطَاكَ مِنَ المَالِ أَوِ الْوَلَدِ مَا لَمْ يُعْطِه غَيْرَكَ ، وَقُلْتَ : ﴿ مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِ ﴾ . وَقَوْلُهُ: ﴿ فَعَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ ﴾ أَيْ : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا ﴾ أَيْ : عَلَى جَنَّتِكَ فِي الدُّنْيَا ، الَّتِي ظَنَنْتَ أَنَّهَا لَا تَبِيدُ وَلَا تَفْنَى ﴿ حُسْبَانًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ **قَالَ عَدَدٌ مِنَ العُلَمَاءِ :** عَذَابًا مِنَ السَّمَاءِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ مَطَرٌ عَظِيمٌ مُزْعِجٌ يُقْلِعُ زَرْعَهَا وَأَشْجَارَهَا ، **وَلِهَذَا قَالَ:** ﴿ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا ﴾ أَيْ : بَلْقَعًا تُرَابًا أَمْلَسَ لَا يَثْبُتُ فِيهِ قَدَمٌ . ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا ﴾ أَيْ : غَائِرًا فِي الْأَرْضِ ، وَهُوَ ضِدُّ النَّابِعِ الَّذِي يَطْلُبُ وَجْهَ الْأَرْضِ ، فَالْغَائِرُ يَطْلُبُ أَسْفَلَهَا ﴿ أَوْ يُصْبِحَ مَآؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُۥ طَلَبًا ﴾ وَالْغَوْرُ : مَصْدَرٌ بِمَعْنَى غَائِرٍ وَهُوَ أَبْلَغُ مِنْهُ .

وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ۚ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴿٤٤﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ ﴾ بِأَمْوَالِهِ ، أَوْ بِثِمَارِهِ عَلَى الْقَوْلِ الْآخَرِ ، **وَالمَقْصُودُ :** أَنَّهُ وَقَعَ بِهَذَا الْكَافِرِ مَا كَانَ يَحْذَرُ مِمَّا خَوَّفَهُ بِهِ الْمُؤْمِنُ ، مِنْ إِرْسَالِ الْحُسْبَانِ عَلَى جَنَّتِهِ الَّتِي اغْتَرَّ بِهَا وَأَلْهَتْهُ عَنِ اللهِ ﷻ ، ﴿ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا ﴾ ، **قَالَ قَتَادَةُ :** يُصَفِّقُ كَفَّيْهِ مُتَأَسِّفًا مُتَلَهِّفًا ، عَلَى الْأَمْوَالِ الَّتِي أَذْهَبَهَا عَلَيْهَا ﴿ وَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّىٓ أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٌ ﴾ أَيْ : عَشِيرَةٌ أَوْ وَلَدٌ ، كَمَا افْتَخَرَ بِهِمْ وَاسْتَعَزَّ ﴿ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا ﴿٤٣﴾ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ هُنَالِكَ المُوَالَاةُ للهِ ، أَيْ : هُنَالِكَ كُلُّ أَحَدٍ مُؤْمِنٌ أَوْ كَافِرٌ يَرْجِعُ إِلَى اللهِ ، وَإِلَى مُوَالَاتِهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ إِذَا وَقَعَ الْعَذَابُ ، ﴿ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا ﴾ أَيْ : جَزَاءً ﴿ وَخَيْرٌ عُقْبًا ﴾ أَيْ : الْأَعْمَالُ الَّتِي تَكُونُ للهِ ﷻ ثَوَابُهَا خَيْرٌ وَعَاقِبَتُهَا حَمِيدَةٌ رَشِيدَةٌ كُلُّهَا خَيْرٌ .

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ وَٱضْرِبْ ﴾ يَا مُحَمَّدُ لِلنَّاسِ ﴿ مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ فِي زَوَالِهَا وَفَنَائِهَا وَانْقِضَائِهَا ﴿ كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ ﴾ أَيْ : مَا فِيهَا مِنَ الْحَبِّ فَشَبَّ وَحَسُنَ ،

وَعَلَاهُ الزَّهْرُ وَالنَّوْرُ وَالنَّضْرَةُ ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ ﴿ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا ﴾ يَابِسًا ﴿ تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ﴾ أَيْ : تُفَرِّقُهُ وَتَطْرَحُهُ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ أَيْ : هُوَ قَادِرٌ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ وَهَذِهِ الْحَالِ . ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ كَقَوْلِهِ : ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ ﴾[آل عمران : ١٤] ، **وَلِهَذَا قَالَ** : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾ **قَالَ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ** : ﴿ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ ﴾ الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ . **وَقَالَ آخَرُونَ** : الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ : سُبْحَانَ الله ، وَالْحَمْدُ لله ، وَلَا إِلَهَ إِلَّا الله ، وَاللهُ أَكْبَرُ ، **وَزَادَ بَعْضُهُمْ** : وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِالله . **وَقِيلَ** : هِيَ الْكَلَامُ الطَّيِّبُ ، **وَقَالَ آخَرُونَ** : هِيَ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ كُلُّهَا .

وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنَ الْأُمُورِ الْعِظَامِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴾[الطور : ٩-١٠] أَيْ : تَذْهَبُ مِنْ أَمَاكِنِهَا وَتَزُولُ ، **وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى** : ﴿ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً ﴾ أَيْ : بَادِيَةً ظَاهِرَةً ، لَيْسَ فِيهَا مَعْلَمٌ لِأَحَدٍ ، وَلَا مَكَانٌ يُوَارِي أَحَدًا ، بَلِ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ ضَاحُونَ لِرَبِّهِمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ . ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ أَيْ : وَجَمَعْنَاهُمْ ، الْأَوَّلِينَ مِنْهُمْ وَالْآخِرِينَ ، فَلَمْ نَتْرُكْ مِنْهُمْ أَحَدًا لَا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا . ﴿ وَعُرِضُوا۟ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا ﴾ ، يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ يَقُومُونَ بَيْنَ يَدَيِ الله صَفًّا وَاحِدًا ، ﴿ لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ﴾ هَذَا تَقْرِيعٌ لِلْمُنْكِرِينَ لِلْمَعَادِ وَتَوْبِيخٌ لَهُمْ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ ، **وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى مُخَاطِبًا لَهُمْ** : ﴿ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴾ أَيْ : مَا كَانَ ظَنُّكُمْ أَنَّ هَذَا وَاقِعٌ بِكُمْ وَلَا أَنَّ هَذَا كَائِنٌ ، ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ ﴾ أَيْ : كِتَابُ الْأَعْمَالِ الَّذِي فِيهِ الْجَلِيلُ وَالْحَقِيرُ وَالْفَتِيلُ وَالْقِطْمِيرُ وَالصَّغِيرُ وَالْكَبِيرُ ﴿ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾ أَيْ : مِنْ أَعْمَالِهِمُ السَّيِّئَةِ وَأَفْعَالِهِمُ الْقَبِيحَةِ ﴿ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا ﴾ أَيْ : يَا حَسْرَتَنَا وَوَيْلَنَا عَلَى مَا فَرَّطْنَا فِي أَعْمَارِنَا ﴿ مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً ﴾ أَيْ : لَا يَتْرُكُ ذَنْبًا صَغِيرًا وَلَا كَبِيرًا وَلَا عَمَلًا وَإِنْ صَغُرَ ﴿ إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ﴾ ، أَيْ : ضَبَطَهَا وَحَفِظَهَا . ﴿ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟

حَاضِرًا ﴾ أَيْ : مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ . ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ أَيْ : فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ فِي أَعْمَالِهِمْ جَمِيعًا ، وَلَا يَظْلِمُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ ، بَلْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ وَيَرْحَمُ ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ بِقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ وَعَدْلِهِ ، وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا يَجُورُ وَلَا يَظْلِمُ .

وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُنَبِّهًا بَنِي آدَمَ عَلَى عَدَاوَةِ إِبْلِيسَ لَهُمْ وَلِأَبِيهِمْ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَمُقْرِعًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ مِنْهُمْ وَخَالَفَ خَالِقَهُ وَمَوْلَاهُ ، وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَهُ وَابْتَدَأَهُ ، وَبِأَلْطَافِهِ رَزَقَهُ وَغَذَّاهُ ، ثُمَّ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ وَالَى إِبْلِيسَ وَعَادَى اللهَ ، **فَقَالَ تَعَالَى** : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ﴾ أَيْ : لِجَمِيعِ الْمَلَائِكَةِ كَمَا تَقَدَّمَ تَقْرِيرُهُ فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ ﴿ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ ﴾ أَيْ : سُجُودُ تَشْرِيفٍ وَتَكْرِيمٍ وَتَعْظِيمٍ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ ﴾ أَيْ : خَانَهُ أَصْلُهُ ، فَإِنَّهُ خُلِقَ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ ، وَأَصْلُ خَلْقِ الْمَلَائِكَةِ مِنْ نُورٍ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ تَوَسَّمَ بِأَفْعَالِ الْمَلَائِكَةِ ، وَتَشَبَّهَ بِهِمْ وَتَعَبَّدَ وَتَنَسَّكَ ، فَلِهَذَا دَخَلَ فِي خِطَابِهِمْ وَعَصَى بِالْمُخَالَفَةِ . ﴿ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ ﴾ أَيْ : فَخَرَجَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ ، فَإِنَّ الْفِسْقَ : هُوَ الْخُرُوجُ ، ثُمَّ قَالَ تَعَالَى مُقْرِعًا وَمُوَبِّخًا لِمَنِ اتَّبَعَهُ وَأَطَاعَهُ : ﴿ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى ﴾ الْآيَةَ . أَيْ : بَدَلًا عَنِّي ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ .

۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴿٥١﴾

يَقُولُ تَعَالَى : هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّخَذْتُمُوهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي عَبِيدٌ أَمْثَالُكُمْ ، لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا ، لَا أَشْهَدْتُهُمْ خَلْقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَلَا كَانُوا إِذْ ذَاكَ مَوْجُودِينَ ، يَقُولُ تَعَالَى : أَنَا الْمُسْتَقِلُّ بِخَلْقِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا ، وَمُدَبِّرُهَا وَمُقَدِّرُهَا وَحْدِي لَيْسَ مَعِي فِي ذَلِكَ شَرِيكٌ ، وَلَا وَزِيرٌ وَلَا مُشِيرٌ وَلَا نَظِيرٌ ، وَلِهَذَا قَالَ : ﴿ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ **قَالَ مَالِكٌ** : أَعْوَانًا .

وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴿٥٢﴾ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يُخَاطِبُ بِهِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْأَشْهَادِ تَقْرِيعًا لَهُمْ وَتَوْبِيخًا : ﴿ نَادُوا۟ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ ﴾ أَيْ : فِي دَارِ الدُّنْيَا ، ادْعُوهُمُ الْيَوْمَ يُنْقِذُونَكُمْ مِمَّا أَنْتُمْ فِيهِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا ﴾ مَهْلَكًا ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ وَادِيًا فِي

جَهَنَّمَ أَوْ غَيْرِهِ ، وَالمَعْنَى : أَنَّ اللهَ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّهُ لَا سَبِيلَ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ ، وَلَا وُصُولَ لَهُمْ إِلَى آلِهَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا يَزْعُمُونَ فِي الدُّنْيَا ، وَأَنَّهُ يُفَرِّقُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهَا فِي الْآخِرَةِ ، فَلَا خَلَاصَ لِأَحَدٍ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ إِلَى الْآخَرِ ، بَلْ بَيْنَهُمَا مَهْلَكٌ وَهَوْلٌ عَظِيمٌ وَأَمْرٌ كَبِيرٌ . ﴿ وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا ﴾ أَيْ : أَنَّهُمْ لَمَّا عَايَنُوا جَهَنَّمَ حِينَ جِيءَ بِهَا تُقَادُ بِسَبْعِينَ أَلْفِ زِمَامٍ ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ فَإِذَا رَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ تَحَقَّقُوا لَا مَحَالَةَ أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا لِيَكُونَ ذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحُزْنِ لَهُمْ ، فَإِنَّ تَوَقُّعَ الْعَذَابِ وَالْخَوْفَ مِنْهُ قَبْلَ وُقُوعِهِ عَذَابٌ نَاجِزٌ ، ﴿ وَلَمْ يَجِدُواْ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴾ أَيْ : لَيْسَ لَهُمْ طَرِيقٌ يَعْدِلُ بِهِمْ عَنْهَا ، وَلَا بُدَّ لَهُمْ مِنْهَا .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾

يَقُولُ تَعَالَى : وَلَقَدْ بَيَّنَّا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ وَوَضَّحْنَا لَهُمُ الْأُمُورَ وَفَصَّلْنَاهَا كَيْ لَا يَضِلُّوا عَنِ الْحَقِّ ، وَيَخْرُجُوا عَنْ طَرِيقِ الْهُدَى ، وَمَعَ هَذَا الْبَيَانِ وَهَذَا الْفُرْقَانِ ، الْإِنْسَانُ كَثِيرُ الْمُجَادَلَةِ وَالْمُخَاصَمَةِ وَالْمُعَارَضَةِ لِلْحَقِّ بِالْبَاطِلِ ، إِلَّا مَنْ هَدَى اللهُ وَبَصَّرَهُ لِطَرِيقِ النَّجَاةِ .

وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُواْ رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ۚ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ هُزُوًا ﴿٥٦﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ تَمَرُّدِ الْكَفَرَةِ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ وَحَدِيثِهِ ، وَتَكْذِيبِهِمْ بِالْحَقِّ الْبَيِّنِ الظَّاهِرِ مَعَ مَا يُشَاهِدُونَ مِنَ الْآيَاتِ وَالدَّلَالَاتِ الْوَاضِحَاتِ ، وَأَنَّهُ مَا مَنَعَهُمْ مِن اتِّبَاعِ ذَلِكَ إِلَّا طَلَبُهُمْ أَنْ يُشَاهِدُوا الْعَذَابَ الَّذِي وُعِدُوا بِهِ عِيَانًا ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ مِنْ غَشَيَانِهِمْ بِالْعَذَابِ وَأَخْذِهِمْ عَنْ آخِرِهِمْ ، ﴿ أَوْ يَأْتِيَهُمُ ٱلْعَذَابُ قُبُلًا ﴾ أَيْ : يَرَوْنَهُ عِيَانًا مُوَاجَهَةً وَمُقَابَلَةً . ثُمَّ قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾ أَيْ : قَبْلَ الْعَذَابِ مُبَشِّرِينَ مَنْ صَدَّقَهُمْ وَآمَنَ بِهِمْ ، وَمُنْذِرِينَ لِمَنْ كَذَّبَهُمْ وَخَالَفَهُمْ . ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ الْكُفَّارِ بِأَنَّهُمْ ﴿ وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ﴾ أَيْ : لِيُضْعِفُوا بِهِ ﴿ ٱلْحَقَّ ﴾ الَّذِي جَاءَتْهُمْ بِهِ الرُّسُلُ ، وَلَيْسَ ذَلِكَ بِحَاصِلٍ لَهُمْ ﴿ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُواْ ﴾ أَيْ : اِتَّخَذُوا الْحُجَجَ وَالْبَرَاهِينَ وَخَوَارِقَ الْعَادَاتِ ، الَّتِي بُعِثَ بِهَا الرُّسُلُ ، وَمَا أَنْذَرُوهُمْ وَخَوَّفُوهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ ﴿ هُزُوًا ﴾ أَيْ : سَخِرُوا مِنْهُمْ فِي ذَلِكَ وَهُوَ أَشَدُّ التَّكْذِيبِ .

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ ۚ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ

قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۖ وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ ۖ لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ ۚ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴿٥٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى: وَأَيُّ عِبَادِ اللهِ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ اللهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا، أَيْ: تَنَاسَاهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَلَمْ يُصْغِ لَهَا، وَلَا أَلْقَى إِلَيْهَا بَالًا ﴿وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ﴾ أَيْ: مِنَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ وَالْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةِ ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ أَيْ: قُلُوبِ هَؤُلَاءِ ﴿أَكِنَّةً﴾ أَيْ: أَغْطِيَةً وَغِشَاوَةً ﴿أَن يَفْقَهُوهُ﴾ أَيْ: لِئَلَّا يَفْهَمُوا هَذَا الْقُرْآنَ وَالْبَيَانَ ﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أَيْ: صَمَمًا مَعْنَوِيًّا عَنِ الرَّشَادِ ﴿وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدًا﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ﴾ أَيْ: رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ غَفُورٌ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ ﴿لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُواْ لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ﴾، كَمَا قَالَ: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُواْ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [فاطر: ٤٥]. ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّهُ يَحْلُمُ وَيَسْتُرُ وَيَغْفِرُ، وَرُبَّمَا هَدَى بَعْضَهُمْ مِنَ الْغَيِّ إِلَى الرَّشَادِ، وَمَنِ اسْتَمَرَّ مِنْهُمْ فَلَهُ يَوْمٌ يَشِيبُ فِيهِ الْوَلِيدُ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا، وَلِهَذَا قَالَ: ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُواْ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ عَنْهُ مَحِيصٌ وَلَا مَحِيدٌ وَلَا مَعْدِلٌ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ﴾ أَيْ: الْأُمَمُ السَّالِفَةُ وَالْقُرُونُ الْخَالِيَةُ أَهْلَكْنَاهُمْ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَعِنَادِهِمْ ﴿وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا﴾ أَيْ: جَعَلْنَاهُ إِلَى مُدَّةٍ مَعْلُومَةٍ وَوَقْتٍ مُعَيَّنٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ، أَيْ: وَكَذَلِكَ أَنْتُمْ أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ، احْذَرُوا أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ، فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَشْرَفَ رَسُولٍ وَأَعْظَمَ نَبِيٍّ، وَلَسْتُمْ بِأَعَزَّ عَلَيْنَا مِنْهُمْ فَخَافُوا عَذَابِي وَنُذُرِ.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴿٦٥﴾

سَبَبُ قَوْلِ مُوسَى لِفَتَاهُ وَهُوَ - يُوشَعُ بْنُ نُونٍ - هَذَا الْكَلَامُ أَنَّهُ ذُكِرَ لَهُ أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ

بِمَجْمَعِ الْبَحْرَيْنِ عِنْدَهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُحِطْ بِهِ مُوسَى ، فَأَحَبَّ الرَّحِيلَ إِلَيْهِ ، وَقَالَ لِفَتَاهُ ذَلِكَ : ﴿ لَآ أَبْرَحُ ﴾ أَيْ : لَا أَزَالُ سَائِرًا ﴿ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ ﴾ أَيْ : هَذَا الْمَكَانَ الَّذِي فِيهِ مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ ، ﴿ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ﴾ أَيْ : وَلَوْ أَنِّي أَسِيرُ حُقُبًا مِنَ الزَّمَانِ . **قِيلَ** : سَنَةً ، **وَقِيلَ** : ثَمَانُونَ سَنَةً ، **وَقِيلَ** : سَبْعُونَ خَرِيفًا .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ قَدْ أُمِرَ بِحَمْلِ حُوتٍ مَمْلُوحٍ مَعَهُ ، وَقِيلَ لَهُ : مَتَى فَقَدْتَ الْحُوتَ فَهُوَ ثَمَّةَ ، فَسَارَا حَتَّى بَلَغَا مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ وَهُنَاكَ عَيْنٌ يُقَالُ لَهَا : عَيْنُ الْحَيَاةِ ، فَنَامَا هُنَالِكَ وَأَصَابَ الْحُوتَ مِنْ رَشَاشِ ذَلِكَ الْمَاءِ فَاضْطَرَبَ ، وَكَانَ فِي مِكْتَلٍ مَعَ يُوشَعَ عليه السلام ، وَطَفَرَ مِنَ الْمِكْتَلِ إِلَى الْبَحْرِ ، فَاسْتَيْقَظَ يُوشَعُ عليه السلام وَسَقَطَ الْحُوتُ فِي الْبَحْرِ ، فَجَعَلَ يَسِيرُ فِي الْمَاءِ ، وَالْمَاءُ لَهُ مِثْلُ الطَّاقِ لَا يَلْتَئِمُ بَعْدَهُ ، **وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى** : ﴿ فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ﴾ أَيْ : مِثْلَ السَّرَبِ فِي الْأَرْضِ . **قِيلَ** : صَارَ أَثَرُهُ كَأَنَّهُ حَجَرٌ . **وَقِيلَ** : جَعَلَ الْحُوتُ لَا يَمَسُّ شَيْئًا مِنَ الْبَحْرِ إِلَّا يَبِسَ حَتَّى يَكُونَ صَخْرَةً ، ﴿ فَلَمَّا جَاوَزَا ﴾ أَيْ : الْمَكَانَ الَّذِي نَسِيَا الْحُوتَ فِيهِ ، وَنَسَبَ النِّسْيَانَ إِلَيْهِمَا ، وَإِنْ كَانَ يُوشَعُ هُوَ الَّذِي نَسِيَهُ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴾ [الرحمن : ٢٢] ، وَإِنَّمَا يَخْرُجُ مِنَ الْمَالِحِ عَلَى أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ ، فَلَمَّا ذَهَبَا عَنِ الْمَكَانِ الَّذِي نَسِيَاهُ فِيهِ بِمَرْحَلَةٍ ﴿ قَالَ ﴾ مُوسَى ﴿ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا ﴾ أَيْ : الَّذِي جَاوَزَا فِيهِ الْمَكَانَ ﴿ نَصَبًا ﴾ يَعْنِي : تَعَبًا ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ﴾ قَالَ : ﴿ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ ﴾ أَيْ : طَرِيقَهُ ﴿ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ﴾ أَيْ : هَذَا هُوَ الَّذِي نَطْلُبُ ﴿ فَٱرْتَدَّا ﴾ أَيْ : رَجَعَا ﴿ عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا ﴾ أَيْ : طَرِيقِهِمَا ﴿ قَصَصًا ﴾ أَيْ : يَقُصَّانِ آثَارَ مَشْيِهِمَا وَيَقْفُوَانِ أَثَرَهُمَا . ﴿ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ﴾ وَهَذَا هُوَ الْخَضِرُ عليه السلام كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْأَحَادِيثُ الصَّحِيحَةُ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ بذلك .

قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ۝٦٨ قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ قَوْلِ مُوسَى عليه السلام لِذَلِكَ الرَّجُلِ الْعَالِمِ وَهُوَ الْخَضِرُ ، ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ ﴾ سُؤَالُ تَلَطُّفٍ لَا عَلَى وَجْهِ الْإِلْزَامِ وَالْإِجْبَارِ ، وَهَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ سُؤَالُ الْمُتَعَلِّمِ مِنَ الْعَالِمِ . وَقَوْلُهُ :

﴿ أَتَّبِعُكَ ﴾ أَيْ : أَصْحَبُكَ وَأُرَافِقُكَ ﴿ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ أَيْ : مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ ، شَيْئًا أَسْتَرْشِد بِهِ فِي أَمْرِي مِنْ عِلْمٍ نَافِعٍ وَعَمَلٍ صَالِحٍ ، فَعِنْدَهَا ﴿ قَالَ ﴾ الْخَضِرُ لِمُوسَى ﴿ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ أَيْ : إِنَّكَ لَا تَقْدِرُ عَلَى مُصَاحَبَتِي ، لِمَا تَرَى مِنِّي مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تُخَالِفُ شَرِيعَتَكَ ، لأَنِّي عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ مَا عَلَّمَكَهُ اللهُ ، وَأَنْتَ عَلَى عِلْمٍ مِنْ عِلْمِ اللهِ مَا عَلَّمَنِيهِ اللهُ ، فَكُلٌّ مِنَّا مُكَلَّفٌ بِأُمُورٍ مِنَ اللهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، وَأَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى صُحْبَتِي ﴿ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا ﴾ فَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّكَ سَتُنْكِرُ عَلَيَّ مَا أَنْتَ مَعْذُورٌ فِيهِ ، وَلَكِنْ مَا اِطَّلَعْتَ عَلَى حِكْمَتِهِ وَمَصْلَحَتِهِ الْبَاطِنَةِ الَّتِي اِطَّلَعْتُ أَنَا عَلَيْهَا دُونَكَ ﴿ قَالَ ﴾ أَيْ : مُوسَى ﴿ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا ﴾ أَيْ : عَلَى مَا أَرَى مِنْ أُمُورِكَ ﴿ وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا ﴾ أَيْ : وَلَا أُخَالِفُكَ فِي شَيْءٍ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ شَارَطَهُ الْخَضِرُ عليه السلام ﴿ قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ ﴾ أَيْ : اِبْتِدَاءً ﴿ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴾ أَيْ : حَتَّى أَبْدَأَكَ أَنَا بِهِ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلَنِي .

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا رَكِبَا فِى ٱلسَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴿٧٣﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ مُوسَى وَصَاحِبِهِ وَهُوَ الْخَضِرُ : أَنَّهُمَا اِنْطَلَقَا لَمَّا تَوَافَقَا وَاصْطَحَبَا ، وَاشْتَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ أَنْكَرَهُ حَتَّى يَكُونَ هُوَ الَّذِي يَبْتَدِئُهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ بِشَرْحِهِ وَبَيَانِهِ ، فَرَكِبَا فِي السَّفِينَةِ ، فَحَمَلُوهُمَا بِغَيْرِ نَوْلٍ يَعْنِي : بِغَيْرِ أُجْرَةٍ ، تَكْرِمَةً لِلْخَضِرِ ، فَلَمَّا اِسْتَقَلَّتْ بِهِمُ السَّفِينَةُ فِي الْبَحْرِ وَلَجَجَتْ ، أَيْ : دَخَلَتِ اللُّجَّةَ ، قَامَ الْخَضِرُ فَخَرَقَهَا وَاسْتَخْرَجَ لَوْحًا مِنْ أَلْوَاحِهَا ثُمَّ رَقَّعَهَا ، فَلَمْ يَمْلِكْ مُوسَى عليه السلام نَفْسَهُ أَنْ قَالَ مُنْكِرًا عَلَيْهِ ﴿ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا ﴾ ، وَهَذِهِ اللَّامُ لَامُ الْعَاقِبَةِ ، لَا لَامُ التَّعْلِيلِ .﴿ لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ﴾ قِيلَ : مُنْكَرًا ، وَقِيلَ : عَجَبًا ، فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ الْخَضِرُ ، مُذَكِّرًا بِمَا تَقَدَّمَ مِنَ الشَّرْطِ : ﴿ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴾ يَعْنِي : وَهَذَا الصَّنِيعُ فَعَلْتُهُ قَصْدًا وَهُوَ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي اِشْتَرَطْتَ مَعَكَ أَنْ لَا تُنْكِرَ عَلَيَّ فِيهَا ، لأَنَّكَ لَمْ تُحِطْ بِهَا خُبْرًا ، وَلَهَا دَخْلٌ هُوَ مَصْلَحَةٌ وَلَمْ تَعْلَمْهُ أَنْتَ ﴿ قَالَ ﴾ أَيْ : مُوسَى ﴿ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا ﴾ أَيْ : لَا تُضَيِّقْ عَلَيَّ وَلَا تُشَدِّدْ عَلَيَّ .

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَـٰمًا فَقَتَلَهُۥ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴿٧٤﴾ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ﴿٧٥﴾ قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن

شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴿٧٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ فَٱنطَلَقَا ﴾ أَيْ : بَعْدَ ذَلِكَ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا لَقِيَا غُلَٰمًا فَقَتَلَهُۥ ﴾ كَانَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ ، فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى ، وَأَنَّهُ عَمَدَ إِلَيْهِ مِنْ بَيْنِهِمْ . فَلَمَّا شَاهَدَ مُوسَى عليه السلام هَذَا أَنْكَرَهُ أَشَدَّ مِنَ الْأَوَّلِ وَبَادَرَ ، فَقَالَ : ﴿ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً ﴾ أَيْ : صَغِيرَةً لَمْ تَعْمَلِ الْحِنْثَ ، وَلَا عَمِلَتْ إِثْمًا بَعْدُ ، فَقَتَلْتَهُ ﴿ بِغَيْرِ نَفْسٍ ﴾ ، أَيْ : بِغَيْرِ مُسْتَنَدٍ لِقَتْلِهِ ﴿ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ﴾ أَيْ : ظَاهِرُ النَّكَارَةِ . ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ فَأَكَّدَ أَيْضًا فِي التَّذْكَارِ بِالشَّرْطِ الْأَوَّلِ ، فَلِهَذَا قَالَ لَهُ مُوسَى : ﴿ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا ﴾ أَيْ : إِنْ اِعْتَرَضْتُ عَلَيْكَ بِشَيْءٍ بَعْدَ هَذِهِ الْمَرَّةِ ﴿ فَلَا تُصَٰحِبْنِي ۖ قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا ﴾ أَيْ : قَدْ أَعْذَرْتَ إِلَيَّ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ .

فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ۚ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٨﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْهُمَا : أَنَّهُمَا اِنْطَلَقَا بَعْدَ الْمَرَّتَيْنِ الْأُولَتَيْنِ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ وَفِي الْحَدِيثِ : « **حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ لِئَامًا** » أَيْ : بُخَلَاءَ ﴿ فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ﴾ إِسْنَادُ الْإِرَادَةِ هَاهُنَا إِلَى الْجِدَارِ عَلَى سَبِيلِ الِاسْتِعَارَةِ ، فَإِنَّ الْإِرَادَةَ فِي الْمُحْدَثَاتِ : بِمَعْنَى الْمَيْلِ ، وَالِانْقِضَاضُ : هُوَ السُّقُوطُ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ فَأَقَامَهُۥ ﴾ أَيْ : فَرَدَّهُ إِلَى حَالَةِ الِاسْتِقَامَةِ ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ رَدَّهُ بِيَدِهِ وَدَعَمَهُ حَتَّى رَدَّ مَيْلَهُ ، وَهَذَا خَارِقٌ فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَ مُوسَى لَهُ : ﴿ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ أَيْ : لِأَجْلِ أَنَّهُمْ لَمْ يُضَيِّفُونَا ، كَانَ يَنْبَغِي أَنْ لَا تَعْمَلَ لَهُمْ مَجَّانًا ، ﴿ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴾ أَيْ : لِأَنَّكَ شَرَطْتَ عِنْدَ قَتْلِ الْغُلَامِ ، أَنَّكَ إِنْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي ، فَهُوَ فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ ﴾ أَيْ : بِتَفْسِيرِ ﴿ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ .

أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٧٩﴾

هَذَا تَفْسِيرُ مَا أَشْكَلَ أَمْرُهُ عَلَى مُوسَى عليه السلام مَا كَانَ أَنْكَرَ ظَاهِرَهُ ، وَقَدْ أَظْهَرَ اللهُ الْخَضِرَ عليه السلام عَلَى حِكْمَةٍ بَاطِنَةٍ فَقَالَ : إِنَّ السَّفِينَةَ إِنَّمَا خَرَقْتُهَا لِأَعِيبَهَا ، لِأَنَّهُمْ كَانُوا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلِكٍ مِنَ الظَّلَمَةِ ﴿ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ ﴾ صَالِحَةٍ ، أَيْ : جَيِّدَةٍ ﴿ غَصْبًا ﴾ ، ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ لِأَرُدَّهُ عَنْهَا لِعَيْبِهَا ،

فَيَنْتَفِعُ بِهَا أَصْحَابُهَا المَسَاكِينُ ، الَّذِينَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ شَيْءٌ يَنْتَفِعُونَ بِهِ غَيْرهَا ، **وَقَدْ قِيلَ** : إِنَّهُمْ أَيْتَامٌ .

وَأَمَّا ٱلْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴿٨١﴾

عَنِ اِبْنِ عَبَّاسٍ – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : ((**الْغُلَامُ الَّذِي قَتَلَهُ الخَضِرُ طُبِعَ يَوْمَ طُبِعَ كَافِرًا**)) ﴿ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ﴾ أَيْ : يَحْمِلُهُمَا حُبُّهُ عَلَى مُتَابَعَتِهِ عَلَى الْكُفْرِ . **قَالَ قَتَادَةُ** : قَدْ فَرِحَ بِهِ أَبَوَاهُ حِينَ وُلِدَ ، وَحَزِنَا عَلَيْهِ حِينَ قُتِلَ ، وَلَوْ بَقِيَ لَكَانَ فِيهِ هَلَاكُهُمَا فَلْيَرْضَ اِمْرُؤٌ بِقَضَاءِ الله ، فَإِنَّ قَضَاءَ الله لِلْمُؤْمِنِ فِيمَا يَكْرَهُ خَيْرٌ لَهُ مِنْ قَضَائِهِ فِيمَا يُحِبُّ . **وَقَوْلُهُ** : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾ أَيْ : وَلَدًا أَزْكَى مِنْ هَذَا ، وَهُمَا أَرْحَمُ بِهِ مِنْهُ .

وَأَمَّا ٱلْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُۥ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٢﴾

فِي هَذِهِ الْآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى إِطْلَاقِ الْقَرْيَةِ عَلَى المَدِينَةِ لأَنَّهُ قَالَ أَوَّلًا ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ﴾ ، **وَقَالَ هَاهُنَا** : ﴿ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى ٱلْمَدِينَةِ ﴾ ، **وَمَعْنَى الْآيَةِ** : أَنَّ هَذَا الْجِدَارَ إِنَّمَا أَصْلَحْتُهُ ، لأَنَّهُ كَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي المَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا . **وَقَوْلُهُ** : ﴿ وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا ﴾ فِيهِ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الصَّالِحَ يُحْفَظُ فِي ذُرِّيَّتِهِ وَتَشْمَلُ بَرَكَةُ عِبَادَتِهِ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ بِشَفَاعَتِهِ فِيهِمْ ، وَرَفْعِ دَرَجَتِهِمْ إِلَى أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ لِتَقَرَّ عَيْنُهُ بِهِمْ . ﴿ فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا ﴾ ، هَاهُنَا أَسْنَدَ الْإِرَادَةَ إِلَى الله تَعَالَى ؛ لأَنَّ بُلُوغَهُمَا الْحُلُمَ لَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلَّا اللهُ ، وَقَالَ فِي الْغُلَامِ : ﴿ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً ﴾ وَقَالَ فِي السَّفِينَةِ : ﴿ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا ﴾ فَاللهُ أَعْلَمُ . **وَقَوْلُهُ تَعَالَى** : ﴿ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ﴾ أَيْ : هَذَا الَّذِي فَعَلْتُهُ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ الثَّلَاثَةِ ، إِنَّمَا هُوَ مِنْ رَحْمَةِ الله بِمَنْ ذَكَرْنَا مِنْ أَصْحَابِ السَّفِينَةِ ، وَوَالِدَي الْغُلَامِ ، وَوَلَدَي الرَّجُلِ الصَّالِحِ ، وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ، أَيْ : لَكِنِّي أُمِرْتُ بِهِ وَوَقَفْتُ عَلَيْهِ ، **وَفِيهِ دَلَالَةٌ لِمَنْ قَالَ بِنُبُوَّةِ الخَضِرِ** عليه السلام . ﴿ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ﴾ أَيْ : هَذَا تَفْسِيرُ مَا ضِقْتَ بِهِ ذَرْعًا ، وَلَمْ تَصْبِرْ حَتَّى أُخْبِرَكَ بِهِ اِبْتِدَاءً ، وَلَمَّا أَنْ فَسَّرَهُ لَهُ وَبَيَّنَهُ وَوَضَّحَهُ وَأَزَالَ الْمُشْكِلَ قَالَ : ﴿ تَسْطِع ﴾ ، وَقَبْلَ ذَلِكَ كَانَ الْإِشْكَالُ قَوِيًّا ثَقِيلًا فَقَالَ : ﴿ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع

عَلَيۡهِ صَبۡرٗا ﴾ فَقَابَلَ الْأَثْقَل بِالْأَثْقَلِ وَالْأَخَف بِالأَخَفِ .

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴿٨٤﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ ﷺ : ﴿ وَيَسۡـَٔلُونَكَ ﴾ يَا مُحَمَّدُ ﴿ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِ ﴾ أَيْ : عَنْ خَبَرِهِ . **قَالَ البَعْضُ** : كَانَ مَلِكًا ، وَإِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ ، لِأَنَّهُ مَلَكَ الرُّومَ وَفَارِسَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ أَيْ : أَعْطَيْنَاهُ مُلْكًا عَظِيمًا مُمَكَّنًا ، فِيهِ مِنْ جَمِيعِ مَا يُؤْتَى الْمُلُوكُ مِنَ التَّمْكِينِ وَالْجُنُودِ وَآلَاتِ الْحَرْبِ وَالْحِصَارَاتِ ، وَلِهَذَا مَلَكَ الْمَشَارِقَ وَالْمَغَارِبَ مِنَ الْأَرْضِ ، وَدَانَتْ لَهُ الْبِلَادُ وَخَضَعَتْ لَهُ مُلُوكُ الْعِبَادِ ، وَخَدَمَتْهُ الْأُمَمُ مِنَ الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ ، وَلِهَذَا ذَكَرَ بَعْضُهُمْ : أَنَّهُ إِنَّمَا سُمِّيَ ذَا الْقَرْنَيْنِ لِأَنَّهُ بَلَغَ قَرْنَيِ الشَّمْسِ مَشْرِقَهَا وَمَغْرِبَهَا . ﴿ وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا ﴾ **قَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ** : يَعْنِي : عِلْمًا . **وَقِيلَ** : تَعْلِيمُ الْأَلْسِنَةِ ، كَانَ لَا يَغْزُو قَوْمًا إِلَّا كَلَّمَهُمْ بِلِسَانِهِمْ .وَهَكَذَا ذُو الْقَرْنَيْنِ يَسَّرَ اللهُ لَهُ الْأَسْبَابَ ، أَيْ : الطُّرُقَ وَالْوَسَائِلَ .

فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗاۗ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴿٨٦﴾ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوۡفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابٗا نُّكۡرٗا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنۡ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلۡحُسۡنَىٰۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنۡ أَمۡرِنَا يُسۡرٗا ﴿٨٨﴾

قَالَ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِ العِلْمِ : ﴿ فَأَتۡبَعَ سَبَبًا ﴾ مَنْزِلًا وَطَرِيقًا مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، **وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ** : ﴿ سَبَبًا ﴾ قَالَ : طَرَفِي الْأَرْضِ ، **وَقَالَ قَتَادَةُ** : أَيْ : أَتْبَعَ مَنَازِلَ الْأَرْضِ وَمَعَالِمَهَا ، **وَقَالَ آخَرُونَ** : عِلْمًا . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغۡرِبَ ٱلشَّمۡسِ ﴾ أَيْ : فَسَلَكَ طَرِيقًا حَتَّى وَصَلَ إِلَى أَقْصَى مَا يُسْلَكُ فِيهِ مِنَ الْأَرْضِ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَغْرِبِ ، وَهُوَ مَغْرِبُ الْأَرْضِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَدَهَا تَغۡرُبُ فِي عَيۡنٍ حَمِئَةٖ ﴾ أَيْ : رَأَى الشَّمْسَ فِي مَنْظَرِهِ تَغْرُبُ فِي الْبَحْرِ الْمُحِيطِ ، وَهَذَا شَأْنُ كُلِّ مَنِ انْتَهَى إِلَى سَاحِلِهِ ، يَرَاهَا كَأَنَّهَا تَغْرُبُ فِيهِ ، وَهِيَ لَا تُفَارِقُ الْفَلَكَ الرَّابِعَ الَّذِي هِيَ مُثْبَتَةٌ فِيهِ لَا تُفَارِقُهُ ، وَالْحَمِئَةُ : مُشْتَقَّةٌ عَلَى إِحْدَى الْقِرَاءَتَيْنِ مِنَ الْحَمْأَةِ ، وَهُوَ : الطِّينُ ، **وَقِيلَ** : (وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَامِيَةٍ) يَعْنِي : حَارَّةٍ . ﴿ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوۡمٗا ﴾ أَيْ : أُمَّةً مِنَ الْأُمَمِ ، ذَكَرُوا أَنَّهَا كَانَتْ أُمَّةً عَظِيمَةً مِنْ بَنِي آدَمَ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ قُلۡنَا يَٰذَا ٱلۡقَرۡنَيۡنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمۡ حُسۡنٗا ﴾ مَعْنَى هَذَا : أَنَّ اللهَ تَعَالَى

مَكَّنَهُ مِنْهُمْ وَحَكَّمَهُ فِيهِمْ وَأَظْفَرَهُ بِهِمْ ، وَخَيَّرَهُ إِنْ شَاءَ قَتَلَ وَسَبَى ، وَإِنْ شَاءَ مَنَّ أَوْ فَدَى ، فَعُرِفَ عَدْلُهُ وَإِيمَانُهُ فِيمَا أَبداهُ عَدْلُهُ وَبَيَانُهُ فِي قَوْلِهِ : ﴿ أَمَّا مَن ظَلَمَ ﴾ أَيْ : اِسْتَمَرَّ عَلَى كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ بِرَبِّهِ ﴿ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ﴾ أَيْ : شَدِيدًا بَلِيغًا وَجِيعًا أَلِيمًا ، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ المَعَادِ وَالجَزَاءِ .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ ﴾ أَيْ : تَابَعَنَا عَلَى مَا نَدْعُوهُ إِلَيْهِ مِنْ عِبَادَةِ الله وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ أَيْ : فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ عِنْدَ الله ﷻ ﴿ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴾ **قِيلَ** : مَعْرُوفًا .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴿٩١﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا فَسَارَ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ إِلَى مَطْلَعِهَا ، وَكَانَ كُلَّمَا مَرَّ بِأُمَّةٍ قَهَرَهُمْ وَغَلَبَهُمْ وَدَعَاهُمْ إِلَى الله ﷻ فَإِنْ أَطَاعُوهُ وَإِلَّا أَذَلَّهُمْ وَأَرْغَمَ آنَافَهَمْ وَاسْتَبَاحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْتِعَتَهُمْ ، وَاسْتَخْدَمَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ جُيُوشُهُ عَلَى قِتَالِ الْإِقْلِيمِ الْمُتَاخِمِ لَهُمْ . وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى مَطْلِعِ الشَّمْسِ مِنَ الْأَرْضِ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ ﴾ أَيْ : أُمَّةٍ ﴿ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ﴾ أَيْ : لَيْسَ لَهُمْ بِنَاءٌ يَكُنُّهُمْ ، وَلَا أَشْجَارٌ تُظِلُّهُمْ وَتَسْتُرُهُمْ مِنْ حَرِّ الشَّمْسِ . ﴿ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ﴾ **قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ** : عِلْمًا . أَيْ : نَحْنُ مُطَّلِعُونَ عَلَى جَمِيعِ أَحْوَالِهِ وَأَحْوَالِ جَيْشِهِ لَا يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْهَا شَيْءٌ ، وَإِنْ تَفَرَّقَتْ أُمَمُهُمْ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ .

ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُوا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ : ﴿ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴾ أَيْ : ثُمَّ سَلَكَ طَرِيقًا مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ ﴾ وَهُمَا جَبَلَانِ مُتَنَاوِحَانِ بَيْنَهُمَا ثُغْرَةٌ يَخْرُجُ مِنْهَا يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ عَلَى بِلَادِ التُّرْكِ ، فَيَعِيثُونَ فِيهَا فَسَادًا وَيُهْلِكُونَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَيَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ مِنْ سُلَالَةِ آدَمَ عليه السلام .

وَقَوْلُهُ : ﴿ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴾ أَيْ : لِاسْتِعْجَامِ كَلَامِهِمْ وَبُعْدِهِمْ

عَنِ النَّاسِ ﴿ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا ﴾ **عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ** – رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا – : أَجْرًا عَظِيمًا . يَعْنِي : أَنَّهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَجْمَعُوا لَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ مَالًا يُعْطُونَهُ إِيَّاهُ ، حَتَّى يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ، فَقَالَ ذُو الْقَرْنَيْنِ بِعِفَّةٍ وَدِيَانَةٍ وَصَلَاحٍ وَقَصْدٍ لِلْخَيْرِ : ﴿ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ ﴾ أَيْ : إِنَّ الَّذِي أَعْطَانِي اللهُ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّمْكِينِ خَيْرٌ لِي مِنَ الَّذِي تَجْمَعُونَهُ ، وَلَكِنْ سَاعِدُونِي ﴿ بِقُوَّةٍ ﴾ أَيْ : بِعَمَلِكُمْ وَآلَاتِ الْبِنَاءِ . ﴿ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۝٩٥ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ ﴾ وَالزُّبُرُ : جَمْعُ زُبْرَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ مِنْهُ ، قَالَهُ عَدَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ ، وَهِيَ كَاللَّبِنَةِ . ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ ﴾ أَيْ : وَضَعَ بَعْضَهُ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الْأَسَاسِ ، حَتَّى إِذَا حَاذَى بِهِ رُءُوسَ الْجَبَلَيْنِ طُولًا وَعَرْضًا . ﴿ قَالَ ٱنفُخُواْ ﴾ أَيْ : أَجَّجَ عَلَيْهِ النَّارَ حَتَّى صَارَ كُلُّهُ نَارًا ﴿ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴾ هُوَ النُّحَاسُ الْمُذَابُ .

فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ۝٩٧ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۝٩٨ ۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۝٩٩

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ : أَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا عَلَى أَنْ يَصْعَدُوا مِنْ فَوْقِ هَذَا السَّدِّ ، وَلَا قَدَرُوا عَلَى نَقْبِهِ مِنْ أَسْفَلِهِ وَلَمَّا كَانَ الظُّهُورُ عَلَيْهِ أَسْهَلَ مِنْ نَقْبِهِ ، قَابَلَ كُلًّا بِمَا يُنَاسِبُهُ ، فَقَالَ : ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴾ وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَى نَقْبِهِ ، وَلَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهُ . ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أَيْ : لِمَا بَنَاهُ ذُو الْقَرْنَيْنِ ﴿ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي ﴾ أَيْ : بِالنَّاسِ ، حَيْثُ جَعَلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ حَائِلًا ، يَمْنَعُهُمْ مِنَ الْعَبَثِ فِي الْأَرْضِ وَالْفَسَادِ ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي ﴾ أَيْ : إِذَا اقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ﴿ جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ﴾ أَيْ : سَاوَاهُ بِالْأَرْضِ ﴿ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴾ أَيْ : كَائِنًا لَا مَحَالَةَ . ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ هَذَا أَوَّلُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ عَلَى أَثَرِ ذَلِكَ ﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ ، **وَقَالَ آخَرُونَ** : بَلِ الْمُرَادُ بِقَوْلِهِ : ﴿ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ﴾ قَالُوا : إِذَا مَاجَ الْجِنُّ وَالْإِنْسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَخْتَلِطُ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ . ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ﴾ وَالصُّورُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ وَالَّذِي يَنْفُخُ فِيهِ إِسْرَافِيلُ عليه السلام ﴿ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴾ أَيْ : أَحْضَرْنَا الْجَمِيعَ لِلْحِسَابِ ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴾ .

وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۝١٠٠ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۝١٠١ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِي مِن دُونِيٓ أَوْلِيَآءَ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۝١٠٢

يَقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَمَّا يَفْعَلُهُ بِالْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَعْرِضُ عَلَيْهِمْ جَهَنَّمَ أَيْ : يُبْرِزُهَا لَهُمْ وَيُظْهِرُهَا ؛ لِيَرَوْا مَا فِيهَا مِنَ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ قَبْلَ دُخُولِهَا ، لِيَكُونَ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي تَعْجِيلِ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ لَهُمْ . ثُمَّ قَالَ مُخْبِرًا عَنْهُمْ : ﴿ ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكْرِى ﴾ أَيْ : تَغَافَلُوا وَتَعَامَوْا وَتَصَامَمُوا عَنْ قَبُولِ الْهُدَى وَاتِّبَاعِ الْحَقِّ ، ﴿ وَكَانُواْ لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ﴾ أَيْ : لَا يَعْقِلُونَ عَنِ اللهِ أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ ، ثُمَّ قَالَ : ﴿ أَفَحَسِبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن يَتَّخِذُواْ عِبَادِى مِن دُونِىٓ أَوْلِيَآءَ ﴾ أَيْ : اِعْتَقَدُوا أَنَّهُمْ يَصْلُحُ لَهُمْ ذَلِكَ وَيَنْتَفِعُونَ بِهِ ﴿ كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴾ [مريم : ٨٢] ، وَلِهَذَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ قَدْ أَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْزِلًا .

قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ وَٱتَّخَذُوٓاْ ءَايَٰتِى وَرُسُلِى هُزُوًا ﴿١٠٦﴾

هَذِهِ الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ عَبَدَ اللهَ عَلَى غَيْرِ طَرِيقَةٍ مَرْضِيَّةٍ ، يَحْسَبُ أَنَّهُ مُصِيبٌ فِيهَا ، وَأَنَّ عَمَلَهُ مَقْبُولٌ وَهُوَ مُخْطِئٌ وَعَمَلُهُ مَرْدُودٌ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم ﴾ أَيْ : نُخْبِرُكُمْ ﴿ بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴾ ثُمَّ فَسَّرَهُمْ . فَقَالَ : ﴿ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ أَيْ : عَمِلُوا أَعْمَالًا بَاطِلَةً عَلَى غَيْرِ شَرِيعَةٍ مَشْرُوعَةٍ مَرْضِيَّةٍ مَقْبُولَةٍ ﴿ وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ أَيْ : يَعْتَقِدُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ وَأَنَّهُمْ مَقْبُولُونَ مَحْبُوبُونَ . ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ ﴾ أَيْ : جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ فِي الدُّنْيَا ، وَبَرَاهِينَهُ الَّتِي أَقَامَ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَصِدْقِ رُسُلِهِ ، وَكَذَّبُوا بِالدَّارِ الْآخِرَةِ ﴿ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴾ أَيْ : لَا نُثْقِلُ مَوَازِينَهُمْ ؛ لِأَنَّهَا خَالِيَةٌ عَنِ الْخَيْرِ ﴿ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُواْ ﴾ أَيْ : إِنَّمَا جَازَيْنَاهُمْ بِهَذَا الْجَزَاءِ ، بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ وَاتِّخَاذِهِمْ آيَاتِ اللهِ وَرُسُلَهُ هُزُوًا ، اِسْتَهْزَءُوا بِهِمْ وَكَذَّبُوهُمْ أَشَدَّ التَّكْذِيبِ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾

يُخْبِرُ تَعَالَى عَنْ عِبَادِهِ السُّعَدَاءِ ، وَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَصَدَّقُوا الْمُرْسَلِينَ فِيمَا جَاءُوا بِهِ ، أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ قَالَ مُجَاهِدٌ : الْفِرْدَوْسُ هُوَ : الْبُسْتَانُ بِالرُّومِيَّةِ ، وَقَالَ غَيْرُهُ : هُوَ الْبُسْتَانُ الَّذِي فِيهِ شَجَرُ الْأَعْنَابِ ، وَقَالَ قَتَادَةُ : الْفِرْدَوْسُ رَبْوَةُ الْجَنَّةِ وَأَوْسَطُهَا وَأَفْضَلُهَا ، وَفِي

الصَّحِيح : « إِذَا سَأَلْتُمُ اللهَ الجَنَّةَ فَاسْأَلُوهُ الْفِرْدَوْسَ ، فَإِنَّهُ أَعْلَى الجَنَّةِ وَأَوْسَطَ الجَنَّةِ ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ ». وَقَوْلُهُ تَعَالَى : ﴿ نُزُلاً ﴾ أَيْ : ضِيَافَةً ، فَإِنَّ النُّزُلَ : الضِّيَافَةَ . ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَا ﴾ أَيْ : مُقِيمِينَ سَاكِنِينَ فِيهَا لَا يَظْعَنُونَ عَنْهَا أَبَدًا ﴿ لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلاً ﴾ أَيْ : لَا يَخْتَارُونَ عَنْهَا غَيْرَهَا وَلَا يُحِبُّونَ سِوَاهَا .

قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴿١٠٩﴾

يَقُولُ تَعَالَى : ﴿ قُل ﴾ يَا مُحَمَّدُ : لَوْ كَانَ مَاءُ الْبَحْرِ مِدَادًا لِلْقَلَمِ الَّذِي يُكْتَبُ بِهِ كَلِمَاتُ اللهِ وَحُكْمِهِ وَآيَاته الدَّالَّة عَلَيهِ ، لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ كِتَابَةِ ذَلِكَ ﴿ وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ ﴾ أَيْ : بِمِثْلِ الْبَحْرِ آخر ثُمَّ آخر ، وَهَلُمَّ جَرًّا ، بُحُورٌ تَمُدُّهُ وَيُكْتَبُ بِهَا ، لَمَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللهِ .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴿١١٠﴾

يَقُولُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ – صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ –: ﴿ قُلْ ﴾ لِهَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُكَذِّبِينَ بِرِسَالَتِكَ إِلَيْهِمْ : ﴿ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ فَمَنْ زَعَمَ أَنِّي كَاذِبٌ فَلْيَأْتِ بِمِثْلِ مَا جِئْتُ بِهِ ، فَإِنِّي لَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ فِيمَا أَخْبَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ الْمَاضِي ، عَمَّا سَأَلْتُمْ مِنْ قِصَّةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ وَخَبَرِ ذِي الْقَرْنَيْنِ ، مِمَّا هُوَ مُطَابِقٌ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ ، لَوْلَا مَا أَطْلَعَنِي اللهُ عَلَيْهِ وَإِنَّمَا أُخْبِرُكُمْ ﴿ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ ﴾ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَى عِبَادَتِهِ ﴿ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ ﴾ أَيْ : ثَوَابَهُ وَجَزَاءَهُ الصَّالِح ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا ﴾ مَا كَانَ مُوَافِقًا لِشَرْعِ اللهِ ﴿ وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًا ﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرَادُ بِهِ وَجْهُ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، **وَهَذَانِ رُكْنَا الْعَمَلِ الْمُتَقَبَّلِ ، لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ خَالِصًا للهِ صَوَابًا عَلَى شَرِيعَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ** .

آخِرُ سُورَةِ الكَهْفِ ، وَللهِ الحَمْدُ

آياتها ٩٨ — تفسِيرُ سُورَةِ مَرْيَمَ — مكيـة
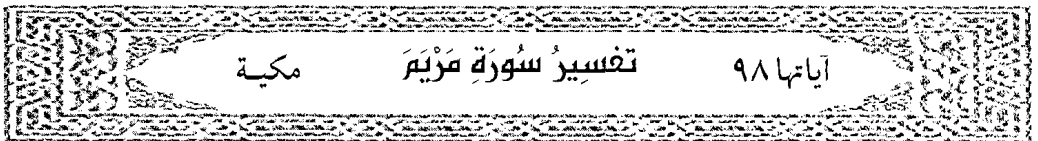
عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قِصَّةِ الْهِجْرَةِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ مِنْ مَكَّةَ أَنَّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ ﷺ قَرَأَ صَدْرَ هَذِهِ السُّورَةِ عَلَى النَّجَاشِيِّ وَأَصْحَابِهِ .